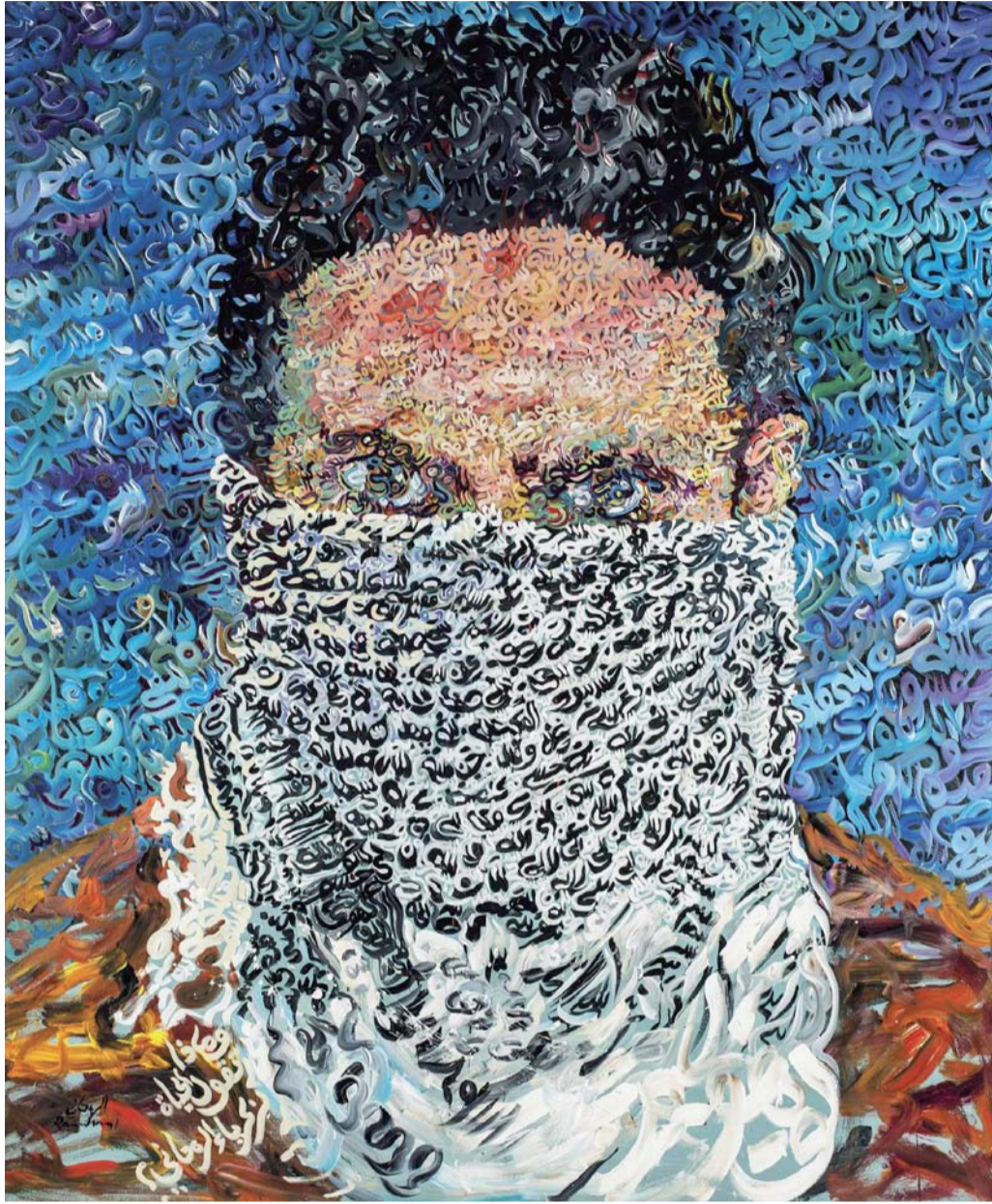


# هل يستطيع شاعر أو روائي أن يناهض بنصه عن الأيديولوجيا

## الأدب والأيديولوجيا في علاقة أكثر عمقا من الصورة الميكانيكية التقليدية



الأدب يقوم بإنتاج الأيديولوجيا (لوحة للفنان زكرياء رحماني)

«إننا نوجد كإنسان في الأيديولوجيا فقط»، ويعني هذا أن وجودنا كهويات مشروط جبريا بالأيديولوجيات، أما الوعي بهذا ومقاومته وتجاوزه فهو أيضا مشروط بإنتاج الأدب المتعدي أي الأدب الذي يخترق أقداس الوعي الزائف واستبداله بحساسية أدبية نقدية تعيد تشكيل النوات المنشقة على مثل هذا الوعي.

النقدية ينبغي أن تأخذ ذلك بعين الاعتبار. وزيادة على ما تقدم فإن التوسير قد حاجج أن «الأدب يقوم بوظيفة إنتاج الأدب الأيديولوجيا». وهكذا فإن الكشف عن هذه الأيديولوجيا يعد من بين أهم وظائف التأويل النقدي الذي تضطلع به نظرية الأدب والنقد الثقافي، وبهذا الصدد نجد مدان صاروب يوضح قائلا

وخاصة عند تأكيدها أن ظاهرة الأدب ليست نتاجا ميكانيكيا واحدا للواقع المادي، وإنما هناك شبكة من العوامل الثقافية والاجتماعية والرمزية التي تنتج هذه الظاهرة في مراحل تاريخية معينة. كما أبرز أن ثمة علاقة تبادل التأثير بين البنية التحتية والبنية الفوقية في إنتاج النص الأدبي هذا واستدرك بما معناه أن النظرية الأدبية

وليس مع الواقع وحيثياته؛ وإزالة الغموض عن هذه المسألة قام النقد المعاصر بالتمييز بين الأيديولوجيا الصغرى المعينة التي تسم معتقد مجموعة من الناس وبين الأيديولوجيا الشاملة التي تقوم على أساس تكريس وتنميط أسلوب حياة كاملة في هذا المجتمع أو ذاك.

### إنتاج الأيديولوجيا

من الواضح أن نظرية الأدب في علاقتها السجالية بالأيديولوجيا في البلدان الغربية ما فتئت تشهد تطورات ملحوظة منذ الستينيات من القرن العشرين إلى يومنا هذا.

ويمكن رصد قسمات هذا التطور في تضافر حقول الفلسفة، والعلوم الاجتماعية واللسانيات، والتحليل النفسي من أجل تحليل تعقيدات العلاقة بين الأدب كتخييل وبين السياسة كواقع وأحداث يومية.

وفي الواقع فإن الفضل في تطوير النقاش حول هذه المسألة يعود إلى عدد من المفكرين المعاصرين منهم المفكر الفرنسي لوي التوسير الذي وظف التحليل النفسي بشقه الفرويدي - اللاكاني لفهم كيف تعمل الأيديولوجيا وكيف يعاد إنتاجها عمليا في السلوك من خلال تجييش أجهزة الدولة الأيديولوجية القمعية وأجهزة الدولة الناعمة من جهة، وكيف تلبس الأقتعة داخل الإنتاج الفني والأدبي من جهة أخرى.

وفي هذا الشأن يؤكد النقاد أن مساهمات التوسير قد فتحت فضاء واسعاً في عالم الدراسات النقدية الأدبية، كما حدث الشيء نفسه في مجالات أخرى مثل الدراسات الثقافية، والنقد الثقافي والدراسات السينمائية وغيرها.

إذ يرى الناقد الثقافي البريطاني مدان صاروب في دراسته التي تحمل عنوان «الهوية والاختلاف» أن التوسير قد فتح آفاقاً جديدة لنظرية الأدب حيث تجاوز بذلك التزامت الأيديولوجيا التقليدية الذي يمسك بالفرضية القائلة بأن البنية التحتية هي التي تصنع الوعي، والأشكال الأدبية والفنية، وأنها توفر الشرط الضروري والحتمي لضمان حركة التاريخ.

وهكذا نفهم أن التوسير قد ساهم في بلورة أفكار مهمة تتسم بالجددة

تكررت في السنوات الأخيرة مقولة جاهزة تؤكد موت الأيديولوجيا، وتصرف على أن الأدب قاطع الأيديولوجيا، وأنهى الأدب الأيديولوجي أو الملتزم، بعبارة أكثر دقة. ولكن هذه النظرة تبقى سطحية لا تنفذ إلى عمق العلاقة بين الأدب والأيديولوجيا، ولا تأخذ في اعتبارها أن الأدب بدوره يصنع الأيديولوجيا.

لأدب. وفي هذا الشأن هناك من تدخل منهم ليميز بين الإلزام وبين الالتزام الطوعي والتلقائي، وفي النقد العربي المعاصر نجد، مثلاً، رفيق خوري في كتابه «الأدب المسؤول» ينهج هذا النهج، وهناك أيضاً مداخلات أخرى تضغط باتجاه التمييز بين الأدب للحياة وبين الأدب الهادف إلى ترسيخ موقف سياسي أو عقيدة محددة في المجتمع.

وفي فرنسا، مثلاً، هناك النقد الأدبي الفكري الذي يشدد أصحابه على فكرة الالتزام بمعناه الواسع، أي الالتزام بالإنسان في صراعه ضد قوى الطغيان والديكتاتورية من أجل الدفاع عن الحرية والكرامة.

وفي هذا الصدد برز سارتر بفهمه للالتزام على أساس الفلسفي الوجودي الذي يعنى بتكريس شرط الحرية وخرق معايير الأيديولوجيا المفروضة وذلك في كتابه «ما هو الأدب»، و«دروب الحرية»، و«مواقف»، وهناك أيضاً النقد الذي يرافع من أجل جعل الأدب ناطقاً بلسان اللاوعي قصد خرق وقائع الوعي الأيديولوجي القسري والبنى الاجتماعية التي تستند هذا النمط من الوعي.

ومن الطريف في هذا الخصوص هو أن مؤرخي الأفكار قد سجلوا أن أول من نحت مصطلح أيديولوجيا بحمولته الفكرية هو فيلسوف اهتم بالبحث عما سماه بعلم الأفكار وهو الفيلسوف الفرنسي ديستات دو تراسي، وليس ماركس في تحليلاته للاقتصاد السياسي والفكر الأيديولوجي الألماني كما هو شائع في تاريخ الأفكار.

وهنا نتساءل: هل يستطيع الشاعر أو الروائي، مثلاً، أن يناهض بقصيدته أو بروايته عن الأيديولوجيا كوعي زائف، أو مجموعة من الأفكار الجاهزة، والتصورات والعقائد والقيم والمتحيزات، والتبريرات للواقع التي تغطي مصالح معينة لهذه المجموعة البشرية أو لطبقة من الطبقات؛ وهل يمكن التسليم مع جان بول سارتر بأن الشاعر بشكل خاص ينبغي أن يكون حل من الالتزام لأنه يتعامل مع المتخيل



أزراح عمر  
كاتب جزائري

في هذه الأيام لا يخلو أي نقاش حول مضامين وأشكال الجنس الأدبية من التشديد على مصطلح الأيديولوجيا سواء عند تحليل النصوص أو عند التفكير في الأسس التي تقوم عليها نظرية الأدب، أو في آليات تأويل هذه النصوص.

في هذا الخصوص نجد كلمة الأيديولوجيا تستخدم، في كثير من الأحيان، كمرادف لكلام المسيس والمباشر الذي ينحاز إلى عقيدة معينة، وبسبب هذا تلصق بهذا النوع من الأدب، سواء كان شعراً أو رواية أو قصة قصيرة أو مسرحية صفات «أدب العمال، أو شعر الانتفاضات الشعبية، أو قصة الثورة الزراعية، أو مسرح الفلاحين».

### التمييز ضروري بين الأدب للحياة والأدب الهادف إلى ترسيخ موقف سياسي أو عقيدة محددة في المجتمع

وجراء ذلك ينعت هذا النوع من الإنتاج الأدبي بأنه أدب قطاعي ينشغل بقطاع معين من المجتمع، وجراء ذلك يتهم غالباً بالحدودية أو بالتحيز، أو بالتمثيل الجزئي لفئة محددة على حساب فئات أخرى.

### وعى زائف

من المعروف أن عددا من المفكرين قد حاولوا الإبتعاد عن هذا النمط من التخطيط التقليدي واقتروا استبدال فكرة الأيديولوجيا بفكرة الالتزام في دراسة النصوص الأدبية، وذلك رغبة منهم في التخفيف من حدة السواء السياسي أو العقائدي الضيق

## رحلة الإنسان للخلاص

بيروت - في روايته «رحلة نوح الأخيرة» الصادرة حديثاً عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت، يقدم الروائي الليبي سالم الهنداوي عدداً من فصول الغناء والعدم كما يتصورها في رحلة الإنسان إلى المجهول. كان الروائي الليبي كتب رواية «خرائط الفحم» إحدى روايات «نوح» في منتصف ثمانينات القرن الماضي، في نهاية الحرب الباردة. وينسوه الهنداوي بأن روايته «خرائط الفحم» التي صدرت في طبعة جديدة مع روايتين قصصيتين تحت عنوان «رحلة نوح الأخيرة» هي بمثابة رحلة الإنسان للخلاص، إذ تمثل رؤية انقلابية ضد نواميس الحياة السائدة ومضائر الجموع في عالم تسوده أيديولوجيات مكررة أعطت الفكر الإنساني. وأراد سالم الهنداوي في هذه الرواية الشتيقة التجريب من أجل عالمة المتخيل، مستخدماً لغة مفعم بالشاعرية والألم حياض مصير الإنسان المفجوع الذي يسقط في الحرب، وحياض مدن الذاكرة التي تسقط في الهشيم. ويرى الهنداوي أننا أمام عمل استغرافي يومي إلى فوضى عامرة ضد كل ما هو سائد في الحياة وأنماطها، وينبئ بحولات جيوبوليتيكية ضد الموروث العدمي الذي أفرزته الأيديولوجيات.

وتتمدد إلى الرواية التي كتب فيها العديد من الأعمال الهامة والمؤثرة.

ونذكر أن سالم الهنداوي من مواليد مدينة بنغازي في ليبيا ودرس بها حتى المرحلة الابتدائية، ولم يكمل تعليمه نظراً إلى الظروف الصعبة، فترقى عصامياً في ثقافته وقراءته. بدأ منذ مطلع السبعينيات في نشر المقالات والقصص، لتتواصل تجربته الأدبية وتتمدد إلى الرواية التي كتب فيها العديد من الأعمال الهامة والمؤثرة.

## ثالث الحلقات التسجيلية لشاعر المليون من الكويت

اللجنة الاستشارية للبرنامج وآلية عمل اللجان ومنح النقاط للشعراء ودور ابوظبي في التغيير الإيجابي لخارطة الإعلام الشعري وتسيّد شعراء البرنامج لمنصات الشعر على المستوى الوطني والعربي.

وفي اجتماع تقييم الجولة من قبل أعضاء لجنة تحكيم شاعر المليون، الباحث سلطان العميمي، الدكتور غسان الحسن، والشاعر حمد السعيد، إلى جانب عضوي اللجنة الاستشارية الأستاذ تركي المريخي، والأستاذ بدر صفوق، وذلك بعد انتهاء مقابلات الشعراء، تم توافق الأعضاء على الإشادة بنجاح جولة الكويت في تحقيق التسرع المطلوب من البرنامج وقوة المشاركة مع التركيز على المستوى الشعري المنافس ووجود التجارب الجديدة من الشباب والشعراء الذين التحقوا بالبرنامج بعد تحضيرهم الطويل لأنفسهم، وتحقيقها لظن اللجنة وتصورها كمحطة للمستوى الشعري العالي والمتقن.

كما أجمع الأعضاء على دور جولة الكويت كمحفز للشعراء ومدى حرص الشعراء على مشروعاتهم الشعرية، واهتمامهم بالصورة الشعرية وغناها. وما يحسب لبرنامج الشعر النبطي الأضخم من تسويق راق من خلال النقد، واستفادة الشعراء من الآراء النقدية كإضافة مبدعة لشاعر المليون في مسيرة نقد الشعر العربي منذ أيام النابغة الذبياني إلى يومنا هذا ومنصة تعكس روح المحبة والوفاء للبرنامج وإشادة الشعراء بنزاهته وحرصهم على التواصل والتلاقي.

تعبيرهم وعمق لغتهم، ومحطات لطيفة نظيفة بين حلم الشعراء بالبطاقة الذهبية وطرافة حضورهم أمام اللجنة.

### الحلقة شهدت منافسة شديدة بين الشعراء وتمكن خمسة منهم من اقتناص البطاقات الذهبية التي تؤهلهم للمرحلة القادمة

مع محطات مجلس شاعر المليون مع الإعلامي حسين العامري كان الموعد مجدداً، حيث استضاف الأستاذ نضار الخمسان، أمين سر ومدير ديوانية شعراء النبط، متناولا الديوانية وتأسيسها وأهدافها، وقصة افتتاح مينائها في العام 1982، مشيداً بجهود ابوظبي في دعم الشعر والشعراء، متمنياً لشعراء الكويت النصيب الأكبر من الفوز في مسابقة البرنامج. كما استضاف العامري الدكتور حمود الجوي عضو لجنة تحكيم برنامج المنكوس متحدثاً عن فكرة البرنامج وتفرد في تراث وفن المنكوس وإرث شعر الجزيرة العربية وجهود ابوظبي في إحياء هذا الفن. أما ثالث محطات مجلس شاعر المليون فكانت مع بدر صفوق عضو

الشعري الهام للمشاركين، الذين كان التنافس شديداً في ما بينهم. وتميزت بعض المشاركات بالطرافة مع الحوار الجاد الناقد، خاصة استخدام المفردات الأجنبية ورؤية أعضاء اللجنة لحضور هذه المفردات في الحياة اليومية وواقع الشعراء مع ضرورة عدم الإكثار منها وتغريبها لغرض الحفاظ على الهوية والموروث والمفردات التي تنتمي إلى اللغة العربية والهوية دونما تغيير في توصيف المكان.

كما عرفت الحلقة حضوراً هاماً للمشاركين من أصحاب الهمم الذين أشاد أعضاء لجنة التحكيم بقوة

ابوظبي - بمتابعة واسعة واهتمام بالغ من جمهور الشعر النبطي ومحبيه عبر الوطن العربي، انطلقت، مساء الثلاثاء، الحلقة التسجيلية الثالثة للموسم التاسع من برنامج «شاعر المليون»، أضخم مسابقة في الشعر النبطي، والذي تنظمه لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية بأبوظبي، حيث عرضت الحلقة تفاصيل جولة مقابلات لجنة تحكيم البرنامج للشعراء في الكويت. وسط مشاعر الفرح والحساس والتحدى المسيطرة على جموع الشعراء المشاركين الذين توافدوا للمنافسة على التاهل للمسابقة في مراحلها الأولية، انطلقت حلقة جولة الكويت من شاعر المليون، بجولة كاميرا البرنامج على صروح الثقافة والعمارة والتراث العريق لدولة الكويت بين بر الكويت وبحرها. ثم كان استعراض أهم صفات الشعراء ومميزاتهم في مسابقة «شاعر المليون»، من حسن الاختيار في ما يقدمون في جميع مراحل المسابقة، وأن يكون حامل البيرق منهم مقفلاً وملماً بجميع أغراض الشعر وبحوره، واتقا بقدراته الشعرية، وما يملك من إبداع، وأن يكون خبير سفير لبلده، وأن يقدم ببرق الشعر وبرنامجه الأضخم. وقدمدت في جولة الكويت خمس بطاقات ذهبية، ما يعكس المستوى

